

معانى الكلمات :

بمسبوقين : بمغلوبين عاجزين .

يخوضوا : ينغمسوا فى باطلهم .

الأجداث : القبور .

نصب : أحجار عظموها فى الجاهلية .

يوفضون : يسرعون .

ترهقهم ذلة : تغشاهم مهانة .

فرارا : تباعدا عن الإيمان .

أصروا : تشددوا وانهمكوا فى الكفر .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نستشعر أن الدنيا بلا إيمان هو فارغ وخوض فى باطل .
- ٢ - أن نتعرف على تجربة من تجارب الدعوة فى الأرض من خلال قصة سيدنا نوح مع قومه .
- ٣ - أن نعلم وحدة العقيدة وثبات أصولها على تعدد الرسالات والرسول عليهم السلام .

المحتوى التربوى :

يستطرد السياق فى تهوين أمر المشركين وتصغير شأنهم ، وتنكيس كبريائهم فيقرر أن الله قادر على أن يخلق خيراً منهم ، وأنهم لا يعجزونه فيذهبون دون ما يستحقون من جزاء الأليم ، والأمر ليس فى صاحبه إلى قسم ، ولكن التلويع بذكر المشارق والمغارب يوحى بعظمة الخالق ، وهل يحتاج أمر المخلوقين مما يعملون إلى قسم برب المشارق والمغارب ، على أنه سبحانه قادر على أن يخلق خيراً منهم ، وأنهم لا يسبقونه ولا يفوتونه ولا يهربون من مصيرهم المحتوم ؟ !

ويوجه الخطاب للرسول ﷺ ليدعهم فى تكذيبهم وكفرهم لذلك اليوم ولذلك العذاب ، يوم يخرجون من القبور يسرعون الخطأ كأنها هم ذاهبون إلى نصب يعبدونه ، وتتم سيئاتهم فترى

أبصارهم خاضعة تغشاهم مهانة وذلة وانكسار في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ، وسيعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم بهذا اليوم الذى يذوقون فيه سوء العذاب .

سورة نوح

هذه السورة كلها تقص قصة نوح عليه السلام مع قومه ، وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض ، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية ، وشوطا من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر ، والهدى والضلال ، والحق والباطل ، ومن خلال عرض هذه الحلقة من حلقات الدعوة الإلهية على البشرية تتجلى حقيقة وحدة العقيدة وثبات أصولها وتأصل جذورها ، كما يتجلى ارتباطها بالكون وإرادة الله وقدره ، وأحداث الحياة الواقعة وفق قدر الله تعالى .

تبدأ السورة بتقرير مصدر الرسالة والعقيدة وتوكيده؛ فالمصدر الذى يتلقى منه الرسل التكليف ، كما يتلقون حقيقة العقيدة ، هو المصدر الذى صدر منه الوجود كله ، وصدرت منه الحياة ، هذا المصدر هو الله الذى خلق البشر وأودع فطرتهم الاستعداد لأن تعرفه وتعبد ، فلما انحرفوا عنها أرسل إليهم رسله يردونهم إليه ، ونوح عليه السلام كان أول هؤلاء الرسل بعد آدم عليه السلام ، ثم تذكر السورة فحوى رسالة نوح عليه السلام في اختصار وهى الإنذار ، والحالة التى كان قوم نوح في النهاية لربه تجعل الإنذار هو أنسب ما تلخص به رسالته ، وأول ما يفتح به الدعوة لقومه ، الإنذار بعذاب أليم في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعا .

ومن مشهد التكليف ينتقل السياق مباشرة إلى مشهد التبليغ في اختصار ، البارز فيه هو الإنذار ، مع الإطعام في المغفرة على ما وقع من الخطايا والذنوب ، وتأجيل الحساب إلى الأجل المضروب في الآخرة للحساب ، وذلك مع البيان المجمل لأصول الدعوة التى يدعوهم إليها ، ونوح عليه السلام مفصح عن نذارته ، مبين عن حجته ، لا يتمم ولا يجمجم ولا يتلثم في دعوته ، ولا يدع لبسا ولا غموضا في حقيقة ما يدعو إليها ، وفي حقيقة ما ينتظر المكذبين بدعوته ، وما يدعو إليه بسيط واضح مستقيم ، فهو يدعو إلى عبادة الله وحده بلا شريك ، وتقوى الله تهمين على الشعور والسلوك ، وطاعة لرسوله تجعل أمره هو المصدر الذى يستمدونه منه نظام الحياة وقواعد السلوك ، وعبادة الله وحده منهج كامل للحياة ، يشمل تصور الإنسان لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، ولحقيقة الصلة بين الخلق والخالق ، ولحقيقة القوى والقيم في الكون وفي حياة الناس .

وتقوى الله هى الضمانة الحقيقية لاستقامة الناس على ذلك المنهج ، وطاعة الرسول هى الوسيلة للاستقامة على الطريق ، وهذه خلاصة دعوة الله في كل جيل وقد وعدهم عليها ما وعد

الله به التائبين الثائبين ، فجزاء الاستجابة للدعوة إلى عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله هي المغفرة والتخليص من الذنوب التي سلفت ، وتأخير الحساب إلى الأجل المضروب له في علم الله وهو اليوم الآخر ، وعدم الأخذ في الحياة الدنيا بعذاب الاستئصال ، وهذا الأجل المضروب حتمى يجيء في موعده ، ولا يؤخر كما يؤخر عذاب الدنيا .

وراح نوح عليه السلام يواصل جهوده النبيلة الخالصة الكريمة لهداية قومه بلا مصلحة له ولا منفعة ، ويحتمل في سبيل هذه الغاية النبيلة ما يحتمل من إغراض واستكبار واستهزاء ألف سنة إلا خمسين عاما ، وعد المستجيبين له لا يكاد يزيد ، ودرجة الإغراض والإصرار على الضلال ترتفع وترداد ، ثم عاد في نهاية المطاف يقوم حسابه لربه الذى كلفه هذا الواجب النبيل وذلك الجهد الثقيل ، عاد يصف ما صنع وما لاقى ، وهو يصور الجهد الدائب الذى لا ينقطع فقد دعاهم ليلا ونهارا ، ولم يمل ولم يفتر ولم ييأس أمام الإغراض والإصرار ، وكلما دعاهم فروا ، وإذا لم يستطيعوا الفرار ؛ لأن الداعى واجههم مواجهة ، وتحين الفرصة ليصل إلى أسمعهم بدعوته ، سحر هو أن يصل صوته إلى أسمعهم ، وكرهوا أن تقع عليه أنظارهم فغطوا رؤوسهم لئلا يسمعوا ما يقول ، واستمروا على كفرهم ، واستنكفوا على اتباع الحق والانقياد له ، وأفعالهم صورة بدائية لأطفال البشرية الكبار .

ومع الدأب على الدعوة وتحين كل فرصة ، والإصرار على المواجهة ، اتبع نوح عليه السلام كل الأساليب فجهر بالدعوة تارة ثم زواج بين الإعلان والإسرار تارة ، ونوع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم ، واستقرار حقيقة الإيمان بالله في الأرض يساوى كل هذا الجهد ، وكل هذا الصبر ، وكل هذه المشقة وكل هذه التضحيات النبيلة المطردة من الرسل وأتباعهم الصادقين في كل جيل ، وقد شاءت إرادة الله أن يخلق هذا الكائن الإنسانى بخصائص معينة ، فجعل استقرار هذه الحقيقة في ضميره وفي نظام حياته موكولا إلى جهد الإنسانى ذاته .

وفي أثناء مواصلة نوح عليه السلام جهده في تبليغ الدعوة ، كان يطمعهم في خير الدنيا والآخرة ، أطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم فهو سبحانه غفار للذنوب .
ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

- ١ - حياة الكفر والضلال لا تعدو أن تكون باطلا وهوا ولعبا .
- ٢ - استقرار حقيقة الإيمان في الأرض في موكول إلى الجهد الإنسانى الذى يؤديه المسلم .
- ٣ - عبادة الله منهج كامل للحياة في كل كبيرة وصغيرة منها .

معاني الكلمات :

- مدرارا : غزيراً متتابعاً .
 أطوارا : حالات مختلفة .
 سراجا : مصباحاً مضيئاً .
 أنبتكم : أنشأكم .
 سبلا فجاجا : طرقات واسعة .
 كباراً : غاية في الكبر .
 ديارا : أحداً يدور ويتحرك في الأرض .
 تباراً : هلاكاً ودماراً .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم أن خير الدنيا والآخرة يكون في قوة الإيمان .
- ٢ - أن نستشعر ضرورة التطلع والتدبر في الكون والنفس .
- ٣ - أن نتعرف على مصير الكافرين والمعاندين .

المحتوى التربوي :

يبدأ السياق بين الاستغفار وهذه الأرزاق ، وفي القرآن مواضع متكررة فيها هذا الارتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله ، وبين تيسير الأرزاق ، وعموم الرخاء ، وهذه القاعدة التي يقرها القرآن في مواضع متفرقة ، قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله ، ومن سنة الحياة ، كما أن الواقع العملي يشهد بتحقيقها على مدار القرون ، والحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد ، وما من أمة قام فيها شرع الله ، واتجهت اتجاهاً حقيقياً لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله ، ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته ، فحققت العدل والأمن للناس جميعاً إلا فاضت فيها الخيرات ، ومكن الله لها في الأرض واستخلفها فيها بالعمران وبالصلاح سواء .

ونمضى مع نوح في جهاده النبيل الطويل ، فنجده يأخذ بقومه إلى آيات الله في أنفسهم وفي الكون من حولهم ، وهو يعجب من استهتارهم وسوء أدبهم مع الله ، وينكر عليهم ذلك الاستهتار ، والأطوار التي يخاطب بها قوم نوح في ذلك الزمان لا بد أن تكون أمراً يدركونه ؛ ليرجو من وراء تذكيرهم به أن يكون له في نفوسهم وقع مؤثر ، يقودهم إلى الاستجابة والذي عليه أكثر المفسرين أنها الأطوار الجنينية من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى الهيكل إلى الخلق الكامل ، وهذا يمكن أن يدركه القوم إذا ذكر لهم ، وعلى أية فقد وجه نوح قومه إلى النظر في أنفسهم ، وأنكر عليهم أن يكون الله خلقهم أطواراً ، ثم هم بعد ذلك لا يستشعرون في أنفسهم توقيراً للجليل الذي خلقهم ، وهذا أعجب وأنكر ما يقع من مخلوق .

كذلك وجههم إلى كتاب الكون المفتوح ، وجههم إلى الساء وأخبرهم - كما علمه الله - أنها سبع طباق ، فيهن القمر نور ، وفيهن الشمس سراج ، وهذا التوجيه يكفى لإثارة التطلع والتدبر فيما وراء هذه الخلائق الهائلة من قدرة مبدعة ، وهذا هو المقصود من ذلك التوجيه ، ثم عاد نوح فوجه قومه إلى النظر في نشأتهم من الأرض وعودتهم إليها بالموت ليقرر لهم حقيقة إخراجهم منها بالبعث ، ولتعبير عن نشأة الإنسان من الأرض بالإنبات يكرر في القرآن في صور شتى ، وهو يشير في هذا إلى نشأة الناس كنشأة النبات ، وهى ظاهرة تستدعى النظر ولا ريب ، فهى توحى بالوحدة بين أصول الحياة على وجه الأرض وأن نشأة الإنسان من الأرض كنشأة الأرض

وكذلك ينشئ الإيوان في المؤمن تصوراً حقيقياً حياً لعلاقته بالأرض وبالأحياء ، تصوراً فيه دقة العلم وفيه حيوية الشعور ، والناس الذين نبتوا من الأرض يعودون إلى جوفها مرة أخرى ، ونوح عليه السلام وجه قومه إلى هذه الحقيقة لتستشعر قلوبهم يد الله وهى تنبئهم من هذه الأرض نباتاً ، وهى تعيدهم فيه مرة أخرى ، ثم تتوقع النشأة الأخرى وتحسب حسابها ، وأخيراً وجه عليه السلام قلوب قومه إلى نعمة الله عليهم في تيسير الحياة لهم على هذه الأرض وتذليلها لسيرهم ومعاشهم وانتقالهم وطرائق حياتهم .

وهكذا سلك نوح - أو حاول أن يسلك - إلى آذان قومه وقلوبهم وعقولهم بشتى الأساليب ، ومتنوع الوسائل في دأب طويل ، وفي صبر جميل ، وفي جهد نبيل ، ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم عاد إلى ربه الذى أرسله إليهم ، يقدم حساباً ويثبت شكواه ، فبعد كل هذا الجهاد ، وبعد كل هذا العناد ، وبعد كل هذا التوجيه وبعد الإنذار والإطعام والوعد بالمال والبنين والرخاء ، بعد هذا كله كان العصيان ، وكان السير وراء القيادات الضالة المضلة التى تخدع الاتباع بما تملك من المال والأولاد ، ومظاهر الجاه والسلطان ، ممن أغراهم المال والولد بالضلال والإضلال ، فلم يكن وراءهما إلا الشقاء والخسران ، ولم يكتفوا بالضلال بل مكروا مكرراً متناهياً في الكبر ، مكروا لإبطال الدعوة وإغلاق الطريق في وجهها إلى قلوب الناس .

وكان من مكرمهم تحريض الناس على الاستمسك بالأصنام التي يسمونها آلهة ، وخصصوا من هذه الآلهة أكبرها شأنًا فخصصوها بالذكر ليهيج ذكرها في قلوب العامة المضلين الحمية والاعتزاز ، وهى أكبر آلهتهم التي ظلت تعبد في الجاهلية بعدهم إلى عهد الرسالة المحمدية ، وهنا انبعث من قلب النبي الكريم ﷺ ذلك الدعاء على الظالمين الضالين المضلين ، الماكرين الكائدين ، ذلك الدعاء المنبعث من قلب جاهد طويل ، وعانى كثيراً ، وانتهى إلى اقتناع بأن الأخير في القلوب الظالمة الباغية العاتية ، وعلم أنها لا تستحق الهدى ولا تستأهل النجاة .

وقبل أن يعرض السياق بقية دعاء نوح ﷺ ويعرض ما صار إليه الظالمون الخاطئون في الدنيا والآخرة جميعاً ، فأمر الآخرة كأمر الدنيا حاضر بالقياس إلى علم الله ، وبالقياس إلى الوقوع الثابت الذى لا تغيير فيه ، فبخطيئاتهم وذنوبهم ومعصياتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً ، ولم يجد لهم أنصاراً ؛ لا بنون ولا مال ولا سلطان ولا أولياء من الآلهة المدعاة ، وينتهى أمر هؤلاء العصاة العتاة ، ويطوى ذكرهم من الحياة ، ولا يفصل هنا قصة غرقهم ، ولا قصة الطوفان الذى أغرقهم ؛ لأن الظل المراد إبقاؤه في هذا الموقف هو ظل الإجهاز السريع ، حتى ليعبر المسافة بين الإغراق والإحراق في حرف الفاء .

ثم يكمل دعاء نوح الأخير ، وابتهاله إلى ربه في نهاية المطاف ؛ بأنه لا يصلح أى علاج غير تطهير وجه الأرض من الظالمين ، لأن وجودهم يجمد الدعوة إلى الله نهائياً ، ويحول بينها وبين الوصول إلى قلوب الآخرين ، فهو يطلب ألا يترك أحد منهم على وجه الأرض ، فهم يوجدون بيئة يولد فيها الكفار ، وتوحى بالكفر من الناشئة الصغار ، فلا توجد فرصة لترى الناشئة النور ، وهم ينشئون عادات وأوصافاً ونظماً وتقاليد ينشأ معها المواليد فجاراً كفاراً ، من أجل هذا دعا نوح ﷺ دعوته الساحقة الماحقة .

وإلى جانب هذا كان الابتهاال الخاشع الودود دعا نوح النبي لربه أن يغفر له ، وهو أدب العبد مع الرب ، العبد الذى لا ينسى أنه بشر ، وكان دعاؤه لوالديه ، هو بر النبوة بالوالدين المؤمنين ، ودعاؤه الخاص لمن دخل بيته مؤمناً ، هو بر المؤمن بالمؤمن ، وتخصيص الذى يدخل بيته مؤمناً ، لأن هذه كانت علاقة النجاة حتى يصحبه إلى السفينة ، دعاؤه العام بعد ذلك للمؤمنين والمؤمنات هو بر المؤمن بالمؤمنين كافة في كل زمان ومكان ، وفي مقابل هذا الحب للمؤمنين ، كان الكره للظالمين .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - على العاقل ألا يتبع من يضلّه حتى ولو كان صاحب مكانة عظيمة في المجتمع لأنه لن ينجيه من عذاب الله .

٢ - تقوى الله تعالى واستغفاره ، ودعاؤه يؤدي إلى سعة الرزق .

٣ - ضرورة النظر والتفكير في عجائب صنع الله - تعالى .